عبد الله خياط

حركة الإصلاح الديني

في القرن الثاني عشر

في كل فترة من الزمن وكلما تقادم العهد على اشعاع نور العرفان على الانسانية واخذت الشموع بعد طول اتقادها تذبل وتتلاشى يبدأ اشراق جديد لنجوم أخرى تلمع في سماء البشرية فيستضيء البشر بلألائها ويهتدي إلى الطريق بسطوع أنوارها فتحيا في نفوس افراده المعرفة بعد اضمحلالها وينتبه الوعي بعد خموله .

ولقد كان مصلح القرن الثاني عشر الشيخ محمد بن عبدالوهاب نجماً من تلك النجوم اللامعة التي استضاءت بنورها الانسانية بعد ما خبت فيها جذوة التفكير واظلم أمامها سبيل الحق وغشيتها غاشية من الجهل فجاء ظهوره في الوقت المناسب .

ميلاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ولد هذا المصلح عام ١١١٥هـ-١٧٠٣م في بلدة العيينة وفي قلب الجزيرة العربية من بيت علم محافظ متمسك وترعرع في أحضان العلم حيث كان أبوه وجده علمين من أعلام زمانهما وارتشف من

الشيخ عبد الله خياط . امام وخطيب الحرم المكي ـ ومستشار وزارة المعارف السعودية . عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

مناهل العلم على والده ثم سعى إلى طلب المعرفة في الحجاز والعراق وبلغ من طموحه ان فكر في التطواف في البلاد رغبة في الكشف عن معالم الحقيقة ولكن امكانياته وقفت به عند هذا الحد وقد حصل على رصيد كبير في علوم الدين وما يتصل بها من علوم اللغة العربية مما هيأه للاضطلاع بمهمة الزعامة الدينية والقيام بواجب المصلح الذي ينير السبيل ويهدي إلى النور ويحمل على الرجعية ويصلح ما أفسده تقادم العهد على شريعة السماء التي جاء بها رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم ويبعد عنها الزيف. ويبرزها واضحة المعالم ، وإن المصلحين والمجددين في كل زمان ومكان كثيراً ما يصطدمون ـ بأطماع المغرضين وأصحاب النزوات الطائشة الذين يكرهون الحدّ من أطماعهم ونزواتهم فيحتالون بكل الوسائل لاحباط جهود المصلحين وايقاف حملة الانقاذ التي يقودها المجدّدون ، وقد لقي مصلح القرن الثاني عشر من العنت والارهاق والتضييق ومصادرة الحرية ، لقي من ذلك كاه الشيء الكثير فصبر وجالد شأن كل مؤمن بمبدئه مقتنع بسلامة قضيته وصحة نظرياته .

لقد خشي خصوم المصلح من امتداد مبادئه وذلك طبيعي ومنطقي ايضاً اذ أن البقاء للأصلح فجندوا له كل الامكانيات للقضاء عليه حتى رموه بالاطماع السياسية ليوغروا الصدور عليه في داخل الجزيرة وخارجها ولدى سلاطين الدولة العثمانية ووصفوا دعوته (بالوهابية) امعاناً في التنفير منها لاعتبارها خارجة على تعاليم الاسلام ونظريات أئمة المذاهب الاسلامية المجتهدين .

وفي ظروف غير اعتيادية وتحت تأثير سلسلة من الاضطهادات المتعاقبة قرر المصلح النزوح إلى بلدة الدرعية عاصمة ملك آل سعود شمال الرياض (العاصمة الحالية للمملكة العربية السعودية) **وتعاقد المصلح مع أميرها محمد بن سعود على نشر تعاليمه التي هي في الواقع تعاليم الاسلام الصحيح وكان للأمير محمد ولأولاده من بعده مع المصلح وابنائه واحفاده مواقف حميدة اتسع بها نطاق الاصلاح حيث تضامن السيف مع الكتاب لاظهار الحق تحت ظلال علم الدولة الأخضر الذي يحمل شعار الاسلام وكلمة الاسلام .**

× × ×



هذا الشعار في هذا العلم البارز الخفاق اجتذب اليه القلوب ونبه الوعي الاسلامي فادرك بعد طول سبات ان هذا الصوت المدوّي المنبعث من قلب الجزيرة مهد الفطرة هو صوت الحرية صوت النذير باضمحلال سحب الباطل صوت التحرير يقود حملته مصلح الجزيرة في القرن الثاني عشر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ومات المصلح سنة ١٢٠٦هـ ـ ١٧٨٧م ـ بعد أن قرت عينه بانتشار تعاليمه إلى أبعد مدى امكن ان تنتشر إليه في الجزيرة وبعد أن خلفه من ذريته من حمل على عاتقه القيام بالدعوة إلى مبادئه التي هي في الواقع مبادىء

أفضل شريعة جاءت من السماء عن طريق منقذ البشرية محمد صلى الله عليه وسلم والذي بشرت به الكتب السماوية .

ومات قبل المصلح رأس الدولة السعودية الأولى محمد بن سعود رحمه الله ولكن سيفه لم يزل مسلولا — بيد أبنائه من بعده يناصرون به الحركة الاصلاحية الدينية ويعاضدون خلفاء المصلح حتى الوقت الحاضر .

النظريات التي قامت عليها الدعوة

النظرية الاولى

تنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوق . بحيث يعترف المخلوق بسلطان الاله والهيمنة عليه في جميع أموره وله في عنقه حق التقديس والتأليه والعبودية المطلقة فلا يلتفت إلا اليه ولا يتعلق الا به ولا يعترف لسلطة غيبية وقدرة فعالة الا لسلطته وقدرته. حتى السلطة التنفيذية التي تكون عادة للملوك والحكام والهيئات التنفيذية يجعلها الشيخ خاضعة لنظام التشريع الألهي فلا يجوز الانصياع والاذعان لهذه السلطات ولا يحقق رغباتها إلا في حدود تشريع السماء وهذه هي نظرية الاسلام حيث يقول رسول السلام محمد صلى الله عليه وسلم « لاطاعةَ لِمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ » ولا يجوّز الشيخ ان تتطامن النفوس الا لخالقها او تذل وتستكين إلا لمن له حق الهيمنة عليها والتصرف المطلق فيها وهو الله ويؤيد هذه النظرية بقول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم في خطبته التي قرر فيها قواعد العدالة الانسانية يقول :

(إنَّ دينَكُم واحدٌ ، وإن أباكم واحدٌ ، الناسُ مِنْ آدمَ ، وآدمُ من تُرابٍ »

وتمشياً مع واقع هذه النظرية وتحقيقاً لاهدافها طالب الشيخ بما يأتي :

١ — **الاخلاص** في عبادة الواحد الأحد المالك لأمور عباده فهو وحده الذي يستحق التأليه والتوجه اليه وقصده في جلب النفع ودفع الضر .

٢ — **للاعراض** عن عبادة الطواغيت وكل ما توجه اليه الناس بلون التقديس والعبادة فهو طاغوت سواء كان قبراً أو شجراً أو حجراً أو جنياً أو غير ذلك .

٣ — **قطع** الصلة بالقبور والمقبورين الا في زورات خاصة يقوم بها الرجال لا تتقيد بزمن ولا تتحدد بوقت معين والغرض من هذه الزيارة مصلحة الأموات لاستنزال الرحمة لهم والدعاء والاستغفار ولأخذ العبرة من مصيرهم لا لغرض التبرك بهم والتمسح بقبورهم وطلب العون منهم.

٤ — **التنكر** لمبدأ اتخاذ الموتى من صالحين وأولياء وأنبياء شفعاء ووسطاء بين الخالق والمخلوق قياساً على الوساطة المعروفة بين المخلوقين بعضهم مع بعض لدى الملوك والعظماء اذ أن ذلك قياس مع الفارق وباطل لا تقره التعاليم الاسلامية .

٥ — **تسوية** القبور المشرفة بالارض لافرق في ذلك بين قبر نبي او ولي أو رجل صالح أو غيره — ذلك لأن في رفع القبور والبناء عليها واشعال السرج عندها تحذيراً شديداً من حامي

حمى الدين النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولأن هذا الصنيع خطوة للوثنية .

النظرية الثانية

تركيز النشاط الأنساني للقيام بأداء الشعائر الاسلامية المفروضة بكل دقة دون زيادة أو نقص فالصلاة والزكاة والصوم والحج والأذان وغير ذلك من شرائع الاسلام التي جاءت بها شريعة السماء عن طريق رسول الاسلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

كل ذلك يجب عدم الاخلال به كفريضة ويجب الانصياع إليه عن طيب نفس واقتناع واستسلام تام واذعان شامل بحيث تعتقد القلوب وجوب الايمان بهذه الشعائر وبحيث تعمل الجوارح على أدائها دون ضجر أو ملل وسآمة .

النظرية الثالثة

اقامة الحدود التي فرضتها شريعة السماء على المخالفات التي تصدر من بعض أفراد الجماعة الاسلامية كعقوبات زاجرة او كضمان لحفظ التوازن وصيانة الحقوق الفردية وتقويم المعوج من الأخلاق والترفع عن الرذيلة في كل مجالاتها — فالمجترىء على سفك الدم الحرام يقتل اذا ثبتت أدانته — والذي يعتدي على الغير ويسرق المال تقطع يده اذا ثبتت أدانته واستوفيت شروط القطع . والخيانة الزوجية في شتى ملابساتها ترتفع فيها العقوبة لدرجة الرجم بالحجارة وتنخفض فيكتفي فيها بالضرب البسيط مع الاعتقال او بدونه حسب مقياس الجرم وبقدر ثبوت الإدانة وهكذا كل مخالفة رتبت عليها الشريعة الاسلامية عقوبة يجب أن تطبق العقوبة بكل دقة ويستوي في تطبيقها الشريف والوضيع والأمير والمأمور دون فرق أو محاباة .

ذلك لأن الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق في نظر العدالة بين أبيض وأسود ولا بين شريف ووضيع وتلك هي تعاليم رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم فقد قطع يد امرأة شريفة في سرقة سرقتها رغم الوساطات المتكررة لديه والشفاعات في قضيتها من أحب الناس اليه بل قال : للشفعاء (لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) على هذه النظريات الثلاث قام البرنامج الاصلاحي لحركة التجديد في القرن الثاني عشر هـ ١٨م اما النظرية المذهبية فلم تكن للمصلح نظرية مستقلة ينفرد بها عن نظريات أئمة المذاهب المعترف بها لدى الجماعة الاسلامية فهو محتضن مذهب الامام احمد بن حنبل رابع الأئمة المتبوعين والمشهور بامام أهل السنة لأن مذهبه يرتكز على الأدلة النقلية من (القرآن) أو على احاديث رسول الأسلام المدونة الصحيحة والمجموعة في أشهر كتب الحديث — فالشيخ في هذه الناحية متبع لا متبوع ومنتسب لا ينسب اليه أحد .

أما الوهابية المزعومة فهي صفة وصف بها كل من يدين بالدين الصحيح والغرض منها تضليل الرأي

العام والتلبيس على ضعاف التفكير وحجب الحقيقة عن الظهور فقد وصف بهذه الصفة ابن تيمية وهو مصلح القرن السادس هـ – ١٢م – وهو يبعد كثيراً عن عهد حركة الاصلاح في القرن الثاني عشر ووصف بها كل مصلح يقوم بعملية التطهير ودفع الزيف عن الاسلام لمجرد التنفير منه واعتباره صاحب نظريات متطرفة تناهض الاسلام .

١ – تفاعل النفوس مع دعوة الشيخ في البلاد السعودية .

٢ – تأثر بعض البلدان بها خارج الجزيرة .

أما تفاعل النفوس مع دعوة الشيخ فالحديث عنه طويل مديد وقصارى ما يمكن ان يقال عن ذلك أن ما كان بالأمس خيالا لا يصدق به أصبح بعد نجاح حركة الاصلاح وفي أخريات ايام المصلح وفي عهد الحكام المتعاقبين من آل سعود وعلى يد خلفاء المصلح أصبح حقيقة واقعة فلم يكن أحد يحلم أن تعود للأسلام جدّته وتزاح عنه الاضاليل ويطهر من البدع ثم تقام الشعائر الاسلامية في طول البلاد التي شملتها حركة الاصلاح كما كانت في عهد رسول الله عليه السلام وعهد خلفائه الراشدين ومن تلك البلاد مكة المكرمة التي يحج إلى بيت الله فيها كل عام مئات الألوف من المسلمين من أقاصي الدنيا والمدينة التي تضم قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وماذاك الا أثر من آثار تفاعل النفوس مع دعوة الشيخ وهضم التعليمات الاسلامية التي قام بنشرها بعد دروسها واهمال الكثير منها وما كان يجول في تفكير أحد ان هذه الحركة سوف تتأثر بها الأوساط الاسلامية خارج الجزيرة فتقوم في مصر والهند وأندونيسيا وغيرها من اقاصي البلاد تقوم جمعيات اسلامية تدعو الى دعوة الشيخ باسم العقيدة السلفية نسبة إلى السلف في صدر الاسلام ومن تبعهم على نهجهم – يقول المؤرخ الامريكي لوثروب صاحب كتاب حاضر العالم الاسلامي (قد استطاع الوهابيون أن يبذروا بذورا تلاها الاختصار الشديد للثورة الوهابية في كل فج اسلامي حتّى بلغت دعوتهم الدينية أقصى المعمور) .

وهكذا استمر التفاعل مع دعوة الشيخ حتّى غدت المبدأ الثابت الذي لا يتزعزع بعد أن كانت منبوذة مقهورة يعتبرها دعاة الرجعية آراء متطرفة وأصبحت العقيدة الراسخة التي لاتنفك عن القلوب وأخذت الأيدي تعمل لنشرها والجهود تتضافر على اذاعتها عن طريق وسائل الاعلام وتغذية الأطفال بها منذ نعومة أظفارهم في شكل مقررات تدرس في المدارس ويحتضنها الشباب كدين وليتحصن بها من اعاصير الباطل ومن المبادىء الهدامة الخطرة .

آراء بعض المستشرقين في حركته الإصلاحية

قال المؤرخ الامريكي لوثر ستودارد صاحب كتاب حاضر العالم الاسلامي ..
(... فالدعوة الوهابية أنما هي دعوة اصلاحية خالصة بحتة . غرضها اصلاح الخرق ونسخ الشبهات وابطال الأوهام ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها اربابها في عصور الاسلام الوسطى ودحض البدع وعبادة الأولياء وعلى الجملة هي الرجوع إلى الاسلام والأخذ به على اوله وأصله ولبابه وجوهره أي انها الاستمساك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة صافية نقية والاهتداء والأئتمام بالقرآن المنزل مجرداً ، وامّاما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الاسلام) .

وقال وليمز ارمسترونج في كتاب (ابن سعود ..) كذلك لما شاع الفساد في بلاد المسلمين قام في جزيرة العرب محمد بن عبدالوهاب يحارب البدع ويدعو إلى جمع الصفوف لاعادة مجد الاسلام وعبادة الله بقلب سليم ولكنه كغيره من المصلحين اضطهد واتّهم بالالحاد والزندقة) .

كتابات عن الحركة لقادة الفكر في الشرق

قال الاستاذ أحمدأمين ـ رحمه‌الله ـ في كتابه ـ زعماءالاصلاح في العصر الحديث ـ أهم مسألة شغلت ذهنه (يقصد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله) في درسه ورحلاته مسألة التوحيد التي هي عماد الاسلام والتي تبلورت في (لا اله الا الله) والتي تميز الاسلام بها عما عداه والتي دعا اليها محمد صلى الله عليه وسلم وأصدق دعوة وأحرها فلا أصنام ولا أوثان ولا عبادة آباء وأجداد ولا أحجار ولا نحو ذلك ومن أجل هذا سمي هو وأتباعه انفسهم (بالموحدين) اما اسم الوهابية فهو اسم اطلقه عليهم خصومهم واستعمله الاوروبيون ثم جرى على الألسن .

وقال الدكتور طه حسين في كتابه ـ الحياة الأدبية في جزيرة العرب ـ ان هذا المذهب جديد وقديم معاً . والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر لأنه ليس الا الدعوة القوية إلى الاسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية . هو الدعوة إلى الاسلام كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم خالصاً لله وحده ملغياً لكل واسطة بين الله والناس .

هو إحياء للاسلام وتطهير له مما اصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب فقد انكر محمد بن عبدالوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا اليه من جاهلية في العقيدة والسيرة .

مراجع عن الحركة

الكتب	ايضاحات
* روضة الافكار والافهام	لحسين بن غنام وهو اقدم كتاب واصح مرجع لحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد كان مؤلفه من تلامذة المصلح وممن شاهد كثيراً من الحوادث .
* عنوان المجد في تاريخ نجد	لعثمان بن بشر النجدي وقد ادرك المؤلف أولاد المصلح
مثير الوجد في معرفة انساب ملوك نجد	لرشيد بن علي الحنبلي وقد أشار المستشرق « كارلمان » في دائرة المعارف الاسلامية الى هذا الكتاب .
* البدر الطالع	لمحمد بن علي الشوكاني اليمني الزبيدي .
* تاريخ نجد	للالوسي .
* حاضر العالم الاسلامي	للوثر ستودارد الامريكي
* الدعوة الوهابية	لعبد الله بن علي القصيمي
* الوهابيون والحجاز	للسيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار
* تاريخ نجد	لأمين الريحاني
* جزيرة العرب في القرن العشرين	للشيخ حافظ وهبه
* قلب الجزيرة	لفؤاد حمزة .
* أثر الوهابية في جزيرة العرب	للاستاذ حامد الفقي رئيس جماعة انصار السنة بمصر
* زعماء الاصلاح	للاستاذ أحمد أمين
* الحياة الأدبية في جزيرة العرب	للدكتور طه حسين
* اتحاف النبلاء	لصديق حسن خان (باللغة الفارسية)
* رحلة نيبور	وهو اول رحالة اوروبي تعرض لحركة

الكتب	ايضاحات
	المصلح ورحلته أقدم مصدر اوروبي عن تاريخ المصلح الا أنها لا تخلو من بعض الأخطاء لانه استقى معلوماته من كتب الأولين .
* رحلة باديا	وهو أول رحالة اوروبي تكلم عن حركة الوهابية في نجد وعن عاصمتهم الدرعية باسهاب .
* رحلة بوركهات	كتب هذا الرحالة بحثاً جغرافياً مفصلا عن نجد وبلدة الدرعية واقليم العارض .
* مختصر تاريخ الوهابية	هارفورد جون برجس وهو ضابط بريطاني وقد وصل إلى بلاد العرب في حياة المصلح واستطاع أن يشاهد فتوحات سعود بن عبد العزيز عن كثب .
* مستقبل الاسلام	ل ولفود
* قاموس الاسلام	لتوماس ب. وهذا المؤلف مبشر بروتستاني
* الجزيرة مهد الاسلام	لزويمر وقد حاول فيه رغم تعصبه فهم حقيقة الدعوة التي قام بها الشيخ فوصف حالة العرب في الجزيرة قبل الدعوة وصفاً دقيقاً .
* اختراق الجزيرة العربية	لداود جورج .
* البلاد العربية	مستر فلبي
* مقالة مورت مان	مستشرق الماني وردت مقالته في دائرة المعارف الاسلامية .
* مركز العرب في الشمس	ريتشارد كوك .

كتب صنفها الشيخ رحمه الله وأبناؤه وأحفاده

الكتب	ايضاحات
* كتاب الأصول الثلاثة	للمصلح الشيخ محمدبن عبدالوهاب
* كتاب كشف الشبهات	» » » » » »
* كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد	» » » » » »
* رسالة رسائل الجاهلية	» » » » » »
* رسالة تفسير كلمة التوحيد	» » » » » »
* رسالة الاربع القواعد في الدين	» » » » » »
* رسالة في معنى الطاغوت	» » » » » »
* كتاب مجموعة الحديث على أبواب الفقه	» » » » » »
* مختصر الشرح الكبير والانصاف	» » » » » »
* كتاب السيرة المطولة	» » » » » »
* كتاب مختصر الهدى النبوي	» » » » » »
* اربع رسائل في الأحكام العملية والردة وبعض فوائد التفسير	» » » » » »
* تفسير سور أجزاء من القرآن	» » » » » »
* رسالة فوائد الفاتحة	» » » » » »
* رسالة أصل دين الاسلام	للشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد المصلح
* كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد	» » » » » »
* قرة عيون الموحدين تعليقات على كتاب التوحيد	» » » » » »
* كتاب الكلمات النافعة	للشيخ عبدالله بن الشيخ محمد
* رسالة اوثق عرى الايمان	للشيخ سليمان بن عبدالله حفيد الشيخ
* رسالة انواع التوحيد وانواع الشرك	للشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد الشيخ
* رسالتان في معنى كلمة التوحيد	للشيخ عبدالله بن بطين من علماء نجد
* اربعة مجلدات ضخمة تسمى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية تجمع اصنافاً من الرسائل في العقائد والفقه والفتوى وغير ذلك .	وهي لجماعة من المؤلفين بما فيهم الشيخ وابناؤه واحفاده وتلامذتهم .